الرواية النسوية العربية في ضوء النقد النسوي

م.د. إيمان حميد هدرس

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

الملخص

تنطلق الدراسة من رؤية ذاتية في البحث عن تأثير الحركة النسوية في المسار الروائي النسوي، ولاسيما في حقل النقد الادبي والدراسات الاجتماعية المعاصرة التي تتبنى قضية المرأة والدفاع عن حقوقها.

ولعل اولى المهمات التي وضعتها الدراسة هي تلمس خصوصية هذا الخطاب وجمالياته في النص الروائي من وجهة نظر النظرية النسوية التي تميل الى التركيز على عالم المرأة الداخلي، عن طريق السعي المستمر لتحديد سمات خاصة بفكر المرأة وتحولاتها الاجتماعية.

ـــ من هنا ـــ استعرضت الدراسة اشكالية مصطلح النقد النسوي بوصفه من اكثر المصطلحات اثارةً للجدل؛ لما يكتنفه من غموض واختلاف حول المسمى والوظيفتين الادبية والفكرية واثره في انتاج ادب يؤمن بمعاناة المرأة في العالم العربي.

وختاماً نقول: إن النقد النسوي العربي مازال يتخبط في الساحة النقديه ولم يختط له منهجاً ثابتاً او نظرية نسوية تميزه عن النقد الغربي، فكل مايوجد نظرات نقديه وليس منهجاً نقدياً له اسس وقواعد ثابته.

الكلمات الدالة:

النقد النسوي، الرواية النسوية، الرواية العربية.

THE ABSTRACT

The study talks about the individual w\view in the research to affect the feminine movement of feminine novelist method. Specially, in the literally criticism field , the contemporary social studies that adapt with the woman's case, and defend her rights , as the importance of life , the study talks about this speech and its beauty in the noval text by the view of feminine theory that tends to focus of the world of woman by the continuous seeking to determine special features of woman's mind and social transferring.

The study reviewed the problem of critical feminine term as one of more term to be discussed that contains an ambiguity and difference of the name and the two functions; literally & intellectual to affect of that as production of literature believe of a woman's suffering in Arab world.

TO BE CONCLUDED, WE SAY,

The Arab feminine criticism still flounders in the criticism field and has not permanent context or feminine theory to be distinguished to the Western criticism.

Every thing is to be existed or criticism views & is not criticism context that has principles and permanent approach.

The key words:
Feminine criticism, feminine novel & Arab novel.

إشكالية المصطلح:.

يُعدُّ النقد النسوي أكثر المصطلحات إثارة للجدل؛ لما يكتنفه من غموض واختلاف حول المسمى والوظيفتين الأدبية والفكرية، ولاسيما في حقل النقد الأدبي والدراسات الاجتماعية المعاصرة التي تتبنى قضية المرأة والدفاع عن حقوقها إذ تتداخل المفاهيم أحياناً وتتباعد أحياناً أخرى، فتارة يشير إلى النقد الذي يهتم بدراسة تاريخ المرأة وتأكيد اختلافها عن القوالب التقليدية التي توضع من أجل إقصاء المرأة، وتهميش دورها في الإبداع [١]، وتارةً يشير إلى دورها في إغناء العطاء الأدبي والبحث عن الخصائص الجمالية والبنائية في هذا العطاء، من وجهة نظر النظرية النسوية التي تميل إلى التركيز على عالم المرأة الداخلي، عن طريق السعي المستمر لتحديد سمات خاصة بلغة المرأة كما في القصة والرواية [٢]، وتارةً ثالثة يشير إلى النقد الذي تكتبه المرأة بغض النظر عن الموضوع سواء طرح قضية المرأة أم لم يطرحها، فالخيال الإبداعي يتعالى على وجهة النظر الأنثوية الخالصة كما تشير الشاعرة آن ستمغنسون[٣]، وتصف إيلين شوالتر المصطلح بأنه إحدى طرائق النقد الأدبي الذي يدور حول المرأة بوصفها كاتبة أو قارئة، أما "توريل موي" التي وسعتْ من حدود المفهوم حينما رأتْ أنَّ النقد النسوي يتخطى حدود كتابة المرأة؛ لأنه نوع خاص من الخطاب يلتزم بالصراع ضد الأبوة وضد التميز الجنسي، وليس مجرد اهتمام بالإبداع الأدبي أو النقدي للمرأة، بل هو خطاب عالمي يدعو إلى مناصرة قضية المرأة ورفض سلطة الرجل وهيمنته على النساء، ولاسيما تلك السلطة المقترنة بالعنف والاضطهاد لكل ما هو أنثوي [٤].

والحقيقة إنَّ نشأة النقد النسوي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بنشأة الأدب النسوي، إذ مثّل انبثاق الحركات النسوية كالفوضوية، والثقافية، والليبرالية، والأشتراكية، والبيئوية والراديكالية، والانعزالية، والسحاقية، مهاداً أولياً لظهور الأدب النسوي[٥]، فالمطالبة بحقوق المرأة في التصويت، والمساواة، والتعلم، ورفض أي شكل من أشكال السلطة الذكورية، وغيرها من الموضوعات التي شكلتْ مدار اهتمام النقد والأدب النسوي كانتْ أَسبق في النقد منها في الأدب في ظل هذا المعنى، يسعى النقد النسوي لإعادة الاعتبار لإبداعات النساء الكاتبات، ورفع الغبن اللاحق بهن، وما يقابله من نظرة دونية تنظر إليهن بعين النقصان، وذلك عن طريق استكشاف الكيفيات التي يقاربن من خلالها عوالمهن النفسية والوجدانية والجسدية، في محاولة للإمساك بالاختلاف القائم ما بين إبداع المرأة الكاتبة، وإبداع الرجل الكاتب، وتقصي الخصوصيات الكتابية التي قد تسهم في محو الصورة النمطية الشائعة عن المرأة، مما يسهم في التأسيس لقيام توازن مفقود بين الرجل والمرأة من خلال إنشاء شراكة منتجة وفاعلة تثري الإبداع وتغنيه بقيمة إنسانية مُضاعفة [٦].

يرجع بعض الباحثين ظهور النقد النسوي إلى أواخر الستينيات من القرن المنصرم، وإن يكن الأمر عائداً في الأساس إلى حركات تحرر المرأة التي ظهرت في أوربا أوائل القرن العشرين وقادتها كاتبات مبدعات ومتحررات في الوقت نفسه، مثل الأديبة البريطانية فرجينيا وولف، إذ يشير الباحث الجزائري الدكتور حفناوي بعلي في كتابه (مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن) إلى أنَّ حقبة السبعينيات شهدتْ تبلور قراءات نقدية نسائية تتعامل مع ما كتبه الرجال عن النساء عامة من وجهة نظر نسائية، وانصبت هذه الدراسات أيضاً على البحث في النصوص التي كتبتها المرأة [٧]. ومدى تأثير هذه النصوص إذ تمكنتْ باحثات كثيرات في الثمانينيات

والتسعينيات من بلورة مناهج نقدية تسعى إلى اختراق حدود النظريات الذكورية بفرض التشكيك فيها وهدم النظريات التي قامتْ عليها[٨].

وبناءاً على ذلك اخذت الكثير من الحركات النسوية في العالم زمام المبادرة في تبني رؤية قائمة على الانعتاق والتحرر من قيد السلطة الابوية او الذكورية عبر تحديد الخصائص الذهنية والنفسية والبدنية للمرأة بوصفها صاحبة الفعل المضاد او المقابل للخصائص المعيارية للرجل [٩] ، ولقد ساهمت الكثير من المؤلفات المهمة في ترسيخ هذه الافكار ، ولاسيما مقالة "كيت ميليت" السياسة الجنسية وكتاب "ماري آلمن" التفكير حول النساء ١٩٦٨م، وكتاب "آلين شوالتر" "أدب خاص بهن" ١٩٧٧م والذي قسمت فيه النقد النسوي الى نوعين من أنواع النقد، يختص الاول منه بالمرأة القارئة، ويختص الثاني منه بالمرأة الكاتبة[١٠]

إن إيلين شوالتر مسؤولة اكثر من اي ناقدة أخرى عن تشجيع التركيز على كتابات النساء، ولاسيما نشوء السرد النسائي من قبل كاتبات اسهمن في اثراء الوعي النسائي عبر نضالهن الساعي للأعتراف بهنَّ كفنانات[١١].

والواقع ان جهود النقد النسوي لم تكن غائبة عن مجريات المرحلة فقد وقفت الكثير من الناقدات ضد مَنْ تأثر بمفهوم (الجنسويةgender) أي "الانحياز للرجل"[١٢] أو ضد "التعبير الثقافي عن الاختلاف الجنسي ، اي انماط السلوك الذكري التي يتبعها الرجال، وأنماط السلوك الانثوي التي ينبغي ان تلتزم بها المرأة[١٣] "، فهي تقوم على آيدلوجيا تميز بين الذكر والانثى عبر تبرير وتفسير وتحليل اسس العلاقات القائمة في التمييز بين الجنسين لصالح السلطة الذكورية بأستخدام ادوات وآليات ونتائج ومقدمات متحيزة تمتد لتحكم اللغة من حيث نتاج انساني فضلاً عن تحكمها بالسلوك والفكر والوجدان البشري[١٤] ، فقد أوردت (اجوانه روس) في كتابها "كيف تقهر النساء"[١٥] العديد من الرؤى الرافضة لنتاجات النساء وابداعهنَّ في مجال الادب النسوي عبر اضفاء سمات السطحية والضعف في تناول احوال المجتمع[١٦].

ان ما عانته المرأة من التهميش والسطحية والاقصاء على مدى سنوات طويلة دفع بأعلام النقد النسوي الى تبني مقولات "جاك دريدا" في الكتابة والاختلاف،" لتأويل الاعمال الابداعية بدلاً من الاستسلام للتقويم النظري من خلال اعادة قراءة الادب متتبعاً مافيه من صور لكل من المرأة والرجل ، للكشف عما فيه من انسجام الفكر الأبوي والاختلاف معه" [١٧]

ولعل الباعث على وجود هذا النقد هو التفاعل مع المحرضات والاطلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية على مدى الفترة الزمنية الممتدة منذ بداية الخمسينات وحتى يومنا هذا.

إنَّ النقد النسوي هو فرع من النقد الثقافي الذي يركز على المسائل النسوية، وهو الآن منهج في تناول النصوص والتحليل الثقافي بصفة عامة، إذ ينشغل على مستوى واضح بالمسائل المرتبطة بالجنوسة على سبيل المثال، وقد قام بعض النقاد بدراسة الطرائق التي تشكلتْ بها صورة المرأة في وسائل الإعلام، واهتموا بأمور من مثل عدِّ النساء مقارنة بالرجال، وفي النصوص المعروضة في وسائل الإعلام، واهتموا بأمور من مثل دور المرأة في النصوص الدرامية وبالاستغلال الجنسي لجسد المرأة، واهتموا أيضاً بالمسائل المرتبطة بذلك، مثل النظرة الذكورية في النصوص والقيم والمعتقدات الموجهة بالدرجة الأولى مباشرة للمرأة، مثل الروايات العاطفية والمسلسلات، وبالكيفية التي قُدمتْ بها المرأة في مثل هذه الأنواع الأدبية.

وقد راى الدكتور حفناوي بعلي أَن (غرفة فرجينيا وولف) سابقة نقدية وأدبية في مسار النقد النسوي، والكتاب في الأصل محاضرتان ألقتهما فرجينيا وولف أمام طالبات جامعة كمبيردج في اكتوبر عام ١٩٢٨ تحت عنوان (النساء والرواية) ، وتحولت المحاضرتان إلى "غرفة خاصة بالمرء" وحده حيث أثار هذا الكتاب اهتمام الباحثين والنقاد[١٨].

أَما كتاب (الجنس الثالث) لمؤلفته دوبوفوار فهو مهم للغاية كونه يشكل بداية الحركة النسوية، ولاسيما في جانبيها الاجتماعي والسياسي، إذ يتناول جوهر الإشكالية النسوية فقد اشتهرت

بقولها ((المرأة لا تولد امرأة بل تصير كذلك))[١٩]، في إشارة إلى دور المجتمع في تشكيل وضعية الأنثى والتفريق بينها وبين الذكر.

أما سارة جامبل التي يتداخل لديها نشأة الأدب مع النقد النسوي، فقد قسمت مراحل ظهور النسوية إلى ثلاث مراحل تصفها بالموجات، وهي[٢٠]:

١- الموجة النسوية الأولى: ويمكن إرجاعها إلى عصر التنوير في القرن الثامن عشر وصولاً إلى نهاية القرن التاسع عشر، إذ تبدأ بكتاب ماري ولستر كسروفت (الدفاع عن حقوق المرأة ١٧٩٢) التي تعد رمزاً للحركة النسوية، وتتسم هذه الموجة بالعمل على معالجة صور عدم المساواة الاجتماعية والقانونية التي كانت تعاني منها المرأة.

٢- الموجة النسوية الثانية: وتبدأ بعد عام ١٩٢٠ بعد أنْ اكتسبت المرأة بعضاً من حقوقها كحق التصويت، إذ انبثقت حركات الحقوق المدنية والعمل ضد التمييز الجنسي، وهو ما ظهر في كتابات بيتي فريدلن في كتابها السحر الأنثوي عام ١٩٦٣، وكيت مايلر في كتابها السياسات القائمة على التحيز للرجل، ولعل أهم هذه الكتب كتاب الجنس الآخر لسيمون دي بوفوار عام ١٩٤٩، فضلاً عن كتابات لوسي إريجاي، وجوليا كريستيفيا، وهيلين سيكوس.

٣- المرحلة النسوية الثالثة: وتبدأ بعد عام ١٩٨٠، وتوصف أحياناً بـ(ما بعد النسوية)، وتتسم هذه الموجة بالرغبة بمعالجة صور الخلل الاقتصادي والعنصري إلى جانب قضايا المرأة، فضلاً عن إدانة الإباحية الجنسية التي تمارس تحت شعار حرية الجسد الذي رفعته نساء الموجة ولاسيما هيلين سيكوس، وزيادة على ذلك، عملتْ نساء الموجة الثالثة على إعادة الاعتبار للرجل لا بوصفه آخر مهيمناً بل بوصفهِ نصفاً مكملاً للمرأة، ومن أهم منظرات الموجة الثالثة مايا تري سبيفاك وشاندراتالبيد، وكلاهما انتقدت المفكرات النسويات الغربيات لمغالاتهن بالمطالبة بحقوق المرأة، في الوقت الذي تعاني فيه المرأة في العالم الثالث من مشاكل أكثر تعقيداً يمكن ردها إلى عوامل ثقافية واقتصادية وغيرها.

أما عن نشأة النقد النسوي في السياق العربي، فيردها أغلب الباحثين إلى حقبة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين والذي أثبتْت فيها المرأة حضورها على الساحة النقدية من خلال التأليف النقدي القائم على المناهج السياقية في تناول النص، إذ كان علم النفس والتاريخ أساسين في عملية نقد النص الأدبي، ولم تتغير تلك الدراسات إلا في منتصف السبعينيات حينما دخلت المناهج الحديثة من بنيوية وأسلوبية، فكانت المناهج النصية هي الأساس في الحكم على العمل الأدبي، بيد أن النساء العربيات اللائي خضن مجال الكتابة النقدية لا يبدين كثير اهتمام بقضايا المرأة وكتابتها الإبداعية بقدر ما آمنت بقضايا الكتابة النقدية من منظور أدبي شامل، فالناقدة العراقية نازك الملائكة أفنتْ شطراً كبيراً من حياتها باحثة في قصيدة التفعيلة وأساليب الكتابة الشعرية، فأصدرت كتباً منها ((قضايا الشعر المعاصر))، و((التجزيئية في المجتمع العربي))، و((سيكولوجية العصر)) وكان في وسعها وهي الناقدة المتخصصة، أن تتفرد بكتاب يتناول إبداع المرأة العربية، لكن يبدو أن نازك الملائكة، كانتْ تعتني بتطور القصيدة أكثر من عنايتها بجزئية حصرية ودقيقة كإبداع المرأة. الحال نفسه ينطبق على الناقدة الدكتورة يمنى العيد التي أفنت شطراً كبيراً من حياتها في دراسة السرديات[٢٠]، فألفتْ عدداً من الكتب منها ((في معرفة النص))، و((تقنيات السرد الروائي)) و((ممارسات في النقد الأدبي)) .

لقد اكد النقد النسوي على وجود إبداع نسائي وآخر ذكوري، لكل منهما هويته وملامحِه الخاصة وتجاربهِ النفسية والفكرية التي تؤثر في فهمهِ للعالم من حولهِ، وللمرحلة التاريخية التي يعيشها، ذلك أنَّ النقد والأدب النسوي ينظر إلى المرأة بوصفها ذاتاً وموضوعاً للكتابة، فهو يعبر بصدق عن الطابع الخاص لتجربة المرأة ويجسد خبرتها في الحياة، فضلاً عن أنه يكشف بوضوح عن اهتمام المرأة بذاتها وإظهار هذه الذات لدى المجتمع [٢١]، فتحت إلحاح الحاجة إلى تمكين الذات وتحقيق الهوية، خاضتْ المرأة غمار الكتابة، لتكون امتداداً لوجودها لا على أنها مجرد كتابة اختلاف شكلي يحدده النوع الجنسي، بل بوصفها كتابة تداولية، تملك سماتها وتشهد فيها أزمة الذات، بمقدار ما يتشهد خلاصها من الإقصاء والتهميش[٢٢]، ومن خلاله تمكين الذات الكاتبة من

تحقيق إنسانيتها، وامتلاك خصوصيتها وإثبات هويتها بكتابة تداولية تنجو من الإنكار والاختزال بما يعيد إليها القدرة والاعتبار، ويمكنها من خلخلة معيارية، وقيمة الخطاب الذكوري المهيمن والسائد حولها الذي يستبد في ما يكتبه عن المرأة [٢٣].

ولاسيما في الخطاب الروائي الذي حاول النقد النسوي النجاة منه من خلال نظرية ثابتة واضحة تؤهله للتموضع داخل النقد العام مما يتيح للمرأة فسحة التعبير عن اختلافها وخصوصيتها نفسياً و فكرياً وثقافياً.

ومهما يكن من أمر هذا الجدال الذي يبدو نظرياً إلى حدٍّ بعيد، فإن الذي يعنينا هنا موقف الناقدات العربيات من الكتابة النسوية العربية وما يستتبعها من قضايا تتعلق بحرية المرأة وحقوقها الاجتماعية والثقافية، إذ استأثرت النصوص الروائية والقصصية بالاهتمام في كثير من الطروحات النقدية النسوية، فقد تطرقت خالدة سعيد في كتابها (حركية الإبداع) إلى الروائية اللبنانية ((ليلى بعلبكي في روايتها أنا أَحيا)) بوصفها إحدى روايات الاحتجاج على عبودية المرأة بل على وضع الأنثى أي المرأة –الزوجة- الأم التي حُصِرَ وجودها في مستوى الحاجات البيولوجية، إذ إن اللهجة الحادة والصراحة والجرأة، والتصوير التحليلي الذي يعري الرجل من أسطورة التميز هي بجد ذاتها تعد فاصلاً مميزاً وإيذاناً بعهد جديد كما تقول خالدة سعيد[٢٤].

أما رواية ((الآلهة الممسوخة)) لليلى بعلبكي فهي استمرار للرواية الأولى، من خلال رفضها للعائلة الأبوية، وتحطيمها لقداسة الأجداد، ورفضها لبعض القيم الأخلاقية، واحتجاجها على وضع المرأة في العائلة، كما تشير إلى ذلك خالدة سعيد التي بدت في وقفتها مع هذه الرواية محددة بعض الشيء، مكتفية بنظرات نقدية سريعة على عكس ما وجدنا عند الناقدة عايدة ادريس التي تناولت الرواية نفسها، ولكن من وجهة نظر نقدية مختلفة نوعاً ما عما تناولته خالدة سعيد إذ كانت أكثر جرأة وتصويباً من خالدة[٢٥]، إذ توزع نقد عايدة إدريس في مقالها على مجالات عدة منها: الفكرية، واللغوية، والعلمية في عرض شخصيات الرواية، إذ تقول :((لا نرى في الرواية بطلاً يمثل أي مشكلة من مشاكلنا أو يتلبس نفسية من نفسياتنا، فمن هنا نجد شخصيات الآلهة الممسوخة أشباحاً لا تتفاعل معها، وإنما استلهمتها المؤلفة من ذهن مجرد لا يعرف أن يكسب مخلوقاته حياة محسوسة وذلك عئد إلى هوس الكتابة في التفتيش عن الغرابة في الحداث والعواطف والأفكار...))[٢٦].

بل إنَّ هذا الهوس وصل إلى اللغة، حتى إنَّ الناقدة تساءلت عن جدوى الاستخفاف بفصاحة المفردة العربية حينما أدخلت مفردات غريبة مثل ((لحوست، يتعمشق، حشريتها، مزتونة، المقرقطة))، أهي تريد أن تطور اللغة العربية مثلاً أم أنها مولعة بالبحث عن الغرابة في كل شيء؟

توصلتْ الناقدة في خاتمة مقالها إلى أنَّ الآلهة الممسوخة تمسخ الفن القصصي، وتمسخ الحياة، وتمسخ اللغة؛ لأنها رواية ممسوخة. لقد حللتِ الناقدة هذه الرواية على وفق منهج نفسي اجتماعي، فلم تترك شاردة ولا واردة ارتكبته هذه المؤلفة إلا وذكرته.

أما الدكتورة ماجدة حمود التي حاولت في كتابها ((الخطاب القصصي النسوي))[٢٧]، أن تقدم الخطاب الحقيقي القصصي النسوي السوري، بعيداً عن الاحتفالية التي زيفت واقعها، والتي تم التركيز فيها على الجانبين الاجتماعي والنفسي أكثر من الجانب الإبداعي، إذ غطت هذه الرسالة نحو خمسين سنة من عمر إبداع المرأة السورية، فبدأت مع الرائدات منذ الخمسينيات، وانتهت إلى التسعينيات، فتلمست تطور إبداع المرآه السورية وأهم إنجازاته.

وأولى المهمات التي وضعتها الدراسة هي تلمس خصوصية هذا الخطاب وجمالياته عبر خصوصية اللغة التي تجسد خصوصية المعاناة، وتحاول تلمس سقطاته للنهوض بمستوى الإبداع النسوي في سورية، الذي يعد جزءاً مهماً من الإبداع النسوي العربي.

اختارت ماجدة حمود صوتاً نسائياً بارزاً في الخطاب الروائي السوري ألا وهو صوت الروائية غادة السمان التي خصصت جزءاً كبيراً من آمالها الإبداعية لمناقشة الواقع الثقافي والاجتماعي الذي تعيشه المرأة في ظل مجتمع أبوي متسلط، والذي أتاح لها قدراً كبيراً من الشهرة

والانطلاق، إذ كانت السمات غاية في الذكاء فقد جعلتِ المرأة تؤدي دور البطولة في قصصها، ففي رواية (كوابيس بيروت) اختارت الكاتبة عنواناً يلخص المقولة الأساسية للرواية، إنها الكوابيس التي باتت تصاحب المدينة العربية "بيروت" أكثر المدن العربية حرية وجمالاً، لكنها تحولت إلى جحيم في أثناء الحرب، تحترق فيه البطلة، وتتحول حياتها إلى لحظات كابوسية أرختها الكاتبة بأسلوب اليوميات ((من ١- إلى ٢٠٦)) في حين جعلت الخاتمة حلماً ورقماً واحداً لكي تتيح الخروج من كوابيسها عبر بوابة الحلم[٢٨].

لقد نظرت الناقدة للرواية نظرة عميقة من خلال تلمس خصوصية المعاناة عبر جماليات اللغة التي يمتزج فيها الفكر والشعور والتخييل، فيتجلى عبرها الشكل الفني، والذي نلمس من خلاله جماليات خاصة بالرواية [٢٩]، حينما تقول الكاتبة ((كنتُ أريد أن يحتمي أحدنا بالآخر مثل دفتي نافذة تنفلقان في وجه العاصفة .... لم أكن أحلم بأن يغمى عليَّ مثلاً بين ذراعيه.... لكن الليل سيكون أقل ظلمة وصوت القنابل أقل هديراً بالنسبة له ولي ولو كانتْ يدانا متعانقتين...))[٣٠].

إنَّ اقتران الخوف بعالم الأنوثة لا يعني إنه خوف أنثوي؛ لأنَّ هذا الخوف لن يقترن بالمرأة من دون الرجل، إنه خوف إنساني، يعاني منه كل إنسان في ساعة الخطر إذ تتجاوز المرأة الجديدة لغة الضعف لتعلن عن رغبتها في المساواة، لذا تجد في صدر الرجل سياجاً لن يحميها من الخوف إلا بإرادة التوحد والحب عبر استعمال "يدانا" وصفة "متعانقين".

إنَّ توظيف نمطي ضمير الأنا وضمير الغائب في النص قد أعطى للرواية حرية كافية للتعبير عن الخوف الإنساني وتأكيد ذاتها، وحاولت الكاتبة استعمال اللغة الساخرة في منهج علاقة حب غير شرعية، تبيح فيها المرأة شبابها مقابل المال، إذ يُفرق فيها الرجل المرأة بالنقود مقابل جسدها، وسكوتها عن حقها في إقامة حياة زوجية شرعية من خلال تبني قط بدل طفل، فتقول: ((عبثاً حاولت إقناعها بأنها بحاجة إلى إنجاب طفل بدلاً من الهرب إلى تبني قط، كانت ما تزال تعشق صديقها المتزوج الذي لن يطلق أم أولاده ولن يتزوجها))[٣١].

إنَّ اقتران فعل الإنجاب بضمير الغائب الذي يعود على القط قد أعطى بعداً جمالياً يوازي اللغة التصويرية التي حاولت الكاتبة تقديمها عبر اللغة الساخرة [٣٢].

وإذا كانت ماجدة حمود قد اتخذتْ من اللغة أداةً في تقصي جماليات النص الأدبي، فإنَّ يسرى مقدم تتخذ من هذه اللغة أداة لأدانة وتقويض السلطة الذكورية، ولاسيما في تناولها الرواية (سقوط الإمام) لنوال السعداوي، إذ تقول: ((هي رواية الأنثى بامتياز- ففيها تمثل الأنثى بأدوارها كافة، الأم، والابنه، والزوجة، والمومس، وتحضر السلطة بكل رموزها: الرجل الذكر، والأب، والزوج، والحاكم، وبينهما تقف السعداوي مشهرة غضبها كـ(الضوء) لتعلو نصها الإعجازي ((سقوط الإمام))[٣٣].

إنَّ جمالية الرواية تمثلت بأبراز شخصية الطاغية التي تحكم بأسم الدين، والتي تمثل في تصورها الاب الظالم والزوج الخائف والحاكم الظالم حيث أجتمعتْ كل من هذه الرموز لأضطهاد المرأة المغلوبة على امرها في عددٍ من الصور الرامزة والمعبرة عن انتهاك جسد المرأة وأستلاب حريتها كما في مغازلة رجال الامن لأمرأة حاولتْ التمرد على سلطة الأمام الحاكم عبر بناء احداث يغلب عليها الطابع التجريبي الذي يمزج بطريقة فوضوية بين الهواجس والحوادث، والنوم واليقظة ، والموت والحياة محافظاً في الوقت نفسه على الدالة المركزية في هجاء النظام السياسي المتحالف مع السلطة الدينية لأمتهان المرأة معتمدةً في ذلك على العديد من تقنيات السرد لبناء متخيلها الروائي لتسمية الشخصية الذكورية[٣٤]

وهي الأمام الذي يجمع بين ظلال المقدس والمدنس، فهي تتردد في تسمية قرينته الانثى "بنت الله ؛لأنه أسم ينتهلء المحرمات في حد ذاته، فكيف تجرؤ فتاة أن تحمل أسماً محرماً ، إلى جانب حملها جنيناً غير شرعي، ومع ذلك تمضي الكاتبة في غيها الأدبي لتثبت الأسم؛ كي يكون لها قدر من الحرية والسلطة فتراوغ في بعض المشاهد، فتصوغها على صورة حلم مستثمرة التوافق الشديد بين طبيعة الحلم والأدب، فكلاهما متخيل ولامسؤولية عليه في عرف النقد[٣٥].

إنْ الرواية مزدحمة بالأصوات والرؤى السوداوية التي يتصارع فيها عالم الرجل والأنثى ، فلسان حال المرأة يقول "كل شيء يموت فيّ إلا العقل، فمهما نلتم من جسدي يظل عقلي بعيد المنال كأنها تعلن أنتصارها الوهمي على الآخرين عبر تعرية السلطة الدينية الخاضعه والخانعه للسلطة السياسية ايام حكم السادات حينما تعرضتْ السجينات المصريات الى الانتهاك الجسدي في سجون الأعتقال.

إنَّ الذات الباحثة عن الهوية النسوية توجب قراءة الذات قراءة مستفيضة تعتمد الأنعتاق من وهم الصورة التي تختزنها الذاكرة الجمعية عن المرأة، فقد سعتْ أغلب الكاتبات العربيات إلى تبني قضية الدفاع عن المرأة وتقويض السلطة الذكورية والتحرر والانعتاق من التقاليد والأعراف البالية بوصفها أحدى الثيمات المحورية التي أستند عليها المتن النقدي النسوي .

وهذا ماسعتْ اليه الناقدة المغربية فاطمة المرنيسي تأسيسه بناءاً على مقولات المدرسة النقدية النسوية الاوربية التي أكدتْ على ماهية الدال والمدلول، في اعطاء البنية أمتيازاً على الفاعل، حينما منحتْ المغزى والوحدة الكلية للنص أفضلية على المعنى ، فليس للمرأة منطق متفرد للحديث، إنما هي مشروع أستكشاف متواصل، وميدان للتطبيق الجماعي المتميز، يرسم للمرأة حقوقها المشروعة دون الجنوح الى تطرف يهمش الرجل، أو يستصغر من شأنه[٣٦].

فليس الموضوع في خطاب المرنيسي فقط قضية جنس ، مؤنث ومذكر، كما أنها ليست فقط قضية تخلف اجتماعي وانحطاط فكري، وليستْ بالقطع مجرد قضية دينية.

-وكلها زوايا مشروعة في تحليل تلك القضايا بل هي بالأضافة إلى ذلك كله وعلاوه عليه، قضية "أزمة السلطة السياسية في علاقتها بالناس منذ فجر التاريخ العربي، وفي تحليل طبيعة العلاقة المتأزمة بين الحكام والمحكومين في سياقها السوسيو تاريخي، حيث تلمس فاطمة المرنيسي في خطابها النقدي الجذور العميقة لما يبدو أزمة المرأة في الواقع والتاريخ "[٣٧] ، فهو "مشروع متنوع ومتعدد على أكثر من محور، وأكثر من تجربة كتابية، فهي أبتدأت بالبحث والتنقيب في الفكر الديني ثم في السائد من المنظومة القيمية الاجتماعية، وأخيراً على محور النقد الأدبي من خلال مناقشة صورة شهرزاد في الأدب الغربي في كتابها "العابرة المكسورة الجناح"

إن تجربة المرنيسي المتنوعة مابين الفكر الديني والسياسي والاجتماعي ، وفكر اللقاء الحضاري مع الغرب، إنما تؤسس لدراسات مهمة في النقد النسوي، وتتبدى أهميتها في البحث عن علل أنحطاط القطاعات النسائية في المجتمعات العربية"[٣٨]

إنَّ المشروع الثقافي لفاطمة المرنيسي ينبئ عن رؤية جديدة قائمة على إبراز دور المرأة العربية في معركة الحضارة، ففي بحثها عن النساء اللواتي تجاوزن عتبة الحريم ولاسيما في كتابها الشهير(سلطانات منسيات) والذي أكدتْ فيه على أهمية وصول النساء إلى السلطة بوصفها مكسب تاريخي عظيم، عمل التاريخ العربي ـــ على تناسيه وتهميشه، اذ عملتْ المرنيسي على العكس من ذلك من أجل خدمة مشروعها في إعادة صياغة تاريخ جديد للنساء[٣٩]

لقد وقفتْ المرنيسي عند عصر الجواري أو مايطلق عليه بثورة الحريم، فقد عزفتْ على وتر الحب الذي سرعان ما أصبح معبراً للسياسة كما هي الحال في قصة حب "حبابة" مع الخليفة الاموي التاسع "يزي"، والذي مات كمداً على حبيبته التي قُتلت بحبة من الرمان ، وكذلك الحال مع المهدي العباسي التي جالتْ وصالتْ معه "الخيزران في عالم السياسة"[٤٠]، فالمرنيسي في كتابها "سلطانات منسيات" قد وصلتْ الى مبتغاها في العثور على سلطة نسائية مورستْ في فترات من التاريخ العربي الاسلامي، فهناك سلطة الجواري والمحظيات ، وهناك سلطانات فعليات كسلطانتي المماليك (راضيه وشجرة الدر)، والمنغوليات (الخواتين)، وملكات الجزر، فضلاً عن وجود سلطة سياسية مارستها المرأة العربية[٤١]

((إن وصول المرأة الى السلطة ـــ في نظر المرنيس ـــ يعني المطالبة بالحق في الوجود خارج حدود المنزل ، وهو في الواقع اجتهاد من المرأة في سبيل أن تكون مرئية في أكثر المجالات عمومية أي المنبر، حيث تتواصل السلطتان الأرضية والإلهية بشكل حميمي، وتتجلى

كل منهما بالأخرى ومن خلالها . ولكنه من منظور الفقهاء والمشرعين ـــ وهذا ما تعيه المرنيسي جيدا ، ورغم ذلك تضع نفسها في مفارقات عجيبة – سيظل خرقا للقانون الإلهي والأرضي على السواء، فحتى لو وصلت النساء إلى السلطة، فذلك لايعني على الإطلاق تغير قناعات الشعوب، ولايعني كذلك تغير المعطيات بين الأرض والسماء؛ فقد رأى العديد من المؤرخين في ظهور النساء على المسرح السياسي علامة من علامات الساعة في العالم الإسلامي.))[٤٢]

والواقع ان المرآه وجدت في الكتابة الارادة التي تعبر من خلالها عن ذاتها للفرار من الواقع المأزوم الذي تعيشه عبر مساحة التعبير والنطق بالهواجس ومكنونات النفس .

الخاتمة ونتائج البحث

اشتمل البحث الموسوم بالرواية النسوية في ضوء النقد النسوي على محاولة لدراسة اثر الحركات النسوية في النتاج الروائي العربي النسوي وما يتبعة من هيمنة الخطاب الذكوري النقدي على مجمل النتاج النسوي ، اذ تمخض البحث في هذا الموضوع عن نتائج مهمة نوجزها على النحو الاتي :-

- ان النقد النسوي العربي ما زال يتخبط في الساحة النقدية ولم يختط له منهجاً ثابتاً او نظرية نسوية تميزه عن النقد الغربي ، فكل ما يوجد نظرات نقدية وليس منهجا نقدياً له اسس وقواعد ثابتة.
- تعدد مفاهيم النقد النسوي ما بين النقد النسائي ، والنقد الانثوي والنقد النسوي
- كشف البحث عن نزعة التمرد وللانقلاب على السلطة الذكورية في مجمل خطاب الروائي النسوي العربي.
- القى النقد النسوي الضوء على العلاقة الجدلية بين الادب النسوي والمجتمع، فكلاهما يؤثر ويتأثر بالاخر .
- تأثر النقد النسوي العربي بالكثير من مفاهيم النقد النسوي الغربي، ولاسيما تلك التي تنتمي الى علم الاجتماع والسياسة.
- عمدت الكثير من الناقدات العربيات على مفهوم التغيير الاجتماعي الشامل في بنية النص الادبي عن طريق السعي المستمر لتحديد سمات خاصة بفكر المرآه وتحولاتها الاجتماعية.

الهوامش:

---

(١) يُنظر: النقد الأدبي الحديث، إبراهيم محمود خليل، عمان دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣: ١٣٥.

(٢) يُنظر: النقد الأدبي الحديث، ١٣٥.

(٣) يُنظر: الأدب والنسوية، بام موريس، تر: سهام عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٢، ١٥١.

(٤) يُنظر: النسوية والأنثى، توريل موي، ترجمة، كورنيليا خالد، مجلة الثقافة الأجنبية (دمشق)، ع٧٦، ١٩٩٣: ٤١.

(٥) يُنظر: الممارسة النسوية والنظرية ما بعد النسوية، كريس ويدون، تر: باقر جاسم محمد، الثقافة الأجنبية (بغداد)، السنة ١٩، ع١، ١٩٩٨: ٩٨.

(٦) يُنظر: ورقة بحثية حول النقد النسوي العربي –أنوثة لفظية وخصوصية موهومة على الرابط www.razgar.com.

(٧) يُنظُر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: ١١٠-١١٣.

(٨) يُنظُر: النقد الأدبي الحديث: ١٣٤.

(٩) ينظر: المصطلحات الادبية الحديثة ، د. محمد عناني ، مكتبة لبنان، ناشرون ،١٩٩٦ : ١٨٣ .

(١٠) ينظر: نظرية النقد الادبي الحديث، يوسف نور عوض، دار الامتُ للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م : ٤١-٤٢ .

(١١) ينظر: النقد النسوي الجديد، الين شوالتر نقلاً عن النسوية وما بعد النسوية ساره جامبل : ١٩٩ .
(١٢) المطلحات الادبية الحديثة: ١٨٢.
(١٣) المصدر نفسة : ١٨٣.
(١٤) ينظر: اللغة الغائبة – نحو لغة غير جنسوية – زليخه ابو ريشة، مركز دراسات المرأه ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٦م :٢١ .
(١٥) ينظر: صوت الانثى مصطلح الادب النسوي يميز الكتابة ولا يعزلها، ميسلون هادي، (مقال على الانترنت) : ١-٢.
(١٦) ينظر: النقد النسوي، الاصول والدلالات، يمينه عطا الله ، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة محمد بو ضياف ، كلية الآداب واللغات: ٤٢ .
(١٧) ينظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: ١٢٩.
(١٨) ينظر: المصدر نفسة : ١٣١-١٣٢ .
(١٩) ينظر: النسوية وما بعد النسوية ، سارة جامبل، ترجمة احمد الشامي ، المجلس الاعلى للثقافة ، ط١، ٢٠٠٢م : ٣٤٢ ومابعدها .
(٢٠) يُنظر: النقد النسوي: www.ayeussuf@aljarida.com .
(٢١) يُنظر: الذات الأنثوية، من ثلاث نماذج من السرد، إبراهيم خليل، ملتقى الإبداع النسائي، عمان، ١٩٩٧،١.
(٢٢) يُنظر: ورقة بحثية حول النقد النسوي العربي- أنوثة لفظية وخصوصية موهومة: www.razgar.com
(٢٣) يُنظر: المَصدرُ نَفسه.
(٢٤) يُنظر: حركية الإبداع- دراسات في الأدب العربي الحديث- خالدة سعيد، بيروت- لبنان، دار العودة، ط١، ١٩٧٩: ٢١٦.
(٢٥) يُنظر: المَصدرُ نَفسُهُ : ٢٢٥.
(٢٦) يُنظر: الآلهة الممسوخة –عرض ونقد عايدة إدريس، مجلة الآداب، ع١، السنة التاسعة، ١٩٦١: ٤٤- ٤٧.
(٢٧) يُنظر: الخطاب القصصي النسوي ((نماذج من سورية))، ماجدة حمود، بيروت- لبنان، دار الفكر المعاصر، ط١، ٢٠٠٢م.
(٢٨) ينظر: الخطاب القصي النسوي: ٥١- ٥٢.
(٢٩) يُنظر: الرواية الغربية النسائية ، سعيد يقطين، تونس، ط١، ١٩٩٩م: ١٠٩.
(٣٠) كوابيس بيروت، غادة السمان، بيروت، ط٢، ١٩٧٧: ٥٩.
(٣١) يُنظر: الخطاب القصصي النسوي: ٥٤.
(٣٢) يُنظر: المَصدرُ نَفسَهُ، ص ٥٥.
(٣٣) يُنظُر: مؤنث الرواية، يُسرى مقدّم، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢، ١١١.
(٣٤) ينظر: "سقوط الأمام" قراءة في رواية نوال السعداوي، ثقافة وفنون جريدة عرب ٤٨ المنشور بتاريخ ٢٠١٠/١٠/٣١
(٣٥) ينظر: المصدر نفسه:١
(٣٦) ينظر: ماوراء النص دراسات في النقد المعرفي المعاصر، محمد سالم مسعد الله ، عالم الكتب الحديث وجدارا لكتاب العالمي ، ط١، ٢٠٠٨م:١٢٨.
(٣٧) دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة ، نصر حامد أبو زيد، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٤: ٢٤٥.
(٣٨) مسارات النقد كمدارات ما بعد الحداثة ترويض النص وتقويض الخطاب، حفناوي بعلي، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م، ٢٠٢.
(٣٩) ينظر: النقد النسوي، الاصول والدلالات:٦٢.
(٤٠) ينظر: المصدر نفسه:٦٣.
(٤١) ينظر: الخطاب النسوي المعاصر قراءة في خطاب نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي، تركي الربيعون ، مجلة نزوى ، العدد١١ ، يوليو ، ١٩٩٧م: ٤٩-٥٠.
(٤٢) النقد النسوي الأصول والدلالات، "فاطمة المرنيسي أنموذجاً": ٦٤.

المصادر والمراجع :

١. الأدب والنسوية، بام موريس، تر: سهام عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢. النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٢م .

٣. الذات الأنثوية، من ثلاث نماذج من السرد، إبراهيم خليل، ملتقى الإبداع النسائي، عمان، ١٩٩٧.

٤. الخطاب القصصي النسوي ((نماذج من سورية))، ماجدة حمود، بيروت- لبنان، دار الفكر المعاصر، ط١، ٢٠٠٢م.

٥. الرواية الغربية النسائية ، سعيد يقطين، تونس، ط١، ١٩٩٩م.

٦. اللغة الغائبة – نحو لغة غير جنسوية – زليخه ابو ريشة، مركز دراسات المرأه ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٦م

٧. الممارسة النسوية والنظرية ما بعد النسوية، كريس ويدون، تر: باقر جاسم محمد، الثقافة الأجنبية (بغداد)، السنة ١٩، ع١، ١٩٩٨م .

٨. النقد الأدبي الحديث، إبراهيم محمود خليل، عمان دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م.

٩. المصطلحات الادبية الحديثة ، د. محمد عناني ، مكتبة لبنان، ناشرون ،١٩٩٦.

١٠. حركية الإبداع- دراسات في الأدب العربي الحديث- خالدة سعيد، بيروت- لبنان، دار العودة، ط١، ١٩٧٩.

١١. دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة ، نصر حامد أبو زيد، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العبي ،ط٣ ،٢٠٠٤

١٢. كوابيس بيروت، غادة السمان، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

١٣. مسارات النقد كمدارات ما بعد الحداثة ترويض النص وتقويض الخطاب، حفناوي بعلي، عمان، الأردن، ط١ ، ٢٠٠٧م.

١٤. مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، حفناوي بعلي ، بيروت ، دار العربية للعلوم ، ناشرون ، ط١ ، ٢٠٠٧ م .

١٥. مؤنث الرواية، يُسرى مقدّم، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢.

١٦. ما وراء النص دراسات في النقد المعرفي المعاصر، محمد سالم مسعد الله ، عالم الكتب الحديث وجدار لكتاب العالمي ، ط١ . ٢٠٠٨ .

١٧. نظرية النقد الادبي الحديث، يوسف نور عوض، دار الامتُ للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

مواقع الانترنت

١. النقد النسوي: www.ayeussuf@aljarida.com .

٢. صوت الانثى مصطلح الادب النسوي يميز الكتابة ولا يعزلها، ميسلون هادي,(مقال على الانترنت) .

٣. ورقة بحثية حول النقد النسوي العربي –أنوثة لفظية وخصوصية موهومة على الرابط www.razgar.com.

المجلات

١. الآلهة الممسوخة –عرض ونقد عايدة إدريس، مجلة الآداب، ع١، السنة التاسعة، ١٩٦١.

٢. الخطاب النسوي المعاصر قراءة في خطاب نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي، تركي الربيعون ، مجلة نزوى ، العدد١١ ، يوليو ، ١٩٩٧م

٣. النسوية والأنثى، توريل موي، ترجمة، كورنيليا خالد، مجلة الثقافة الأجنبية (دمشق)، ع٧٦، ١٩٩٣م .

٤. سقوط الأمام" قراءة في رواية نوال السعداوي، ثقافة وفنون جريدة عرب ٤٨ المنشور بتاريخ ٢٠١٠/١٠/٣١.

الرسائل والاطاريح

١. النقد النسوي، الاصول والدلالات، يمينه عطا الله ، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة محمد بو ضياف ، كلية الآداب واللغات.